

الصناعات التقليدية ودورها التنموي:

صناعة الشاشية بتونس أنموذجا

د. فتحة الباروني بن سدرين

جامعة تونس

I. الصناعات التقليدية بين إشكالية تعريفها و الإقرار بدورها التنموي

1- إشكالية تعريف الصناعات التقليدية

يغطي قطاع الصناعات التقليدية حقلا اقتصاديا واجتماعيا شاسعا لم يتمّ تحديد ملامحه بدقة، وقد صنّفه بعض علماء الاقتصاد ضمن الأنشطة غير المهيكلّة. وقد بيّنت الدّراسات أن هذا القطاع يتمّ إدراجه أحيانا في إطار "الاقتصاد غير الرسمي" الذي يشكل بدوره مفهوما إشكاليا. ويشير هذا المفهوم الذي ظهر في بداية السبعينات إلى ازدواجية تتمثّل في تلازم قطاعين اثنين : قطاع تقليدي مآله الانقراض والتلاشي وقطاع عصري يتطوّر بشكل مطرد.

هذا ويستجيب ذلك القطاع غير الرسمي في الحقيقة إلى المعايير التالية :

- سهولة تعاطي الأنشطة وانعدام الحواجز أمام الباعثين الجدد.
- استخدام الموارد المحليّة.
- الملكية العائليّة للمؤسسة.

- نطاق محدود لعمليات الإنتاج والتسويق.
 - مؤهلات يتم اكتسابها خارج الأنظمة الرسمية للتعليم و التكوين.
 - سوق غير خاضعة للتراتب القانوني ومفتوحة للمنافسة.
- فالصناعات التقليدية تغطي، في الحقيقة، واقعا متنوعا وأحيانا متشعبا. وقد تمّ تعريفها بطرق عديدة :

أولا من حيث خاصيات المؤسسات والحرفيين والمنتجات، وأحيانا، يلجأ علماء الاقتصاد إلى المعدّات ووسائل الصنع المستعملة ولطبيعة المنتج ومضمونه الثقافي والفني، كذلك، يعتبر عدد مواطن الشغل وتكلفته بمثابة مقاييس تحدّد حجم النشاط الحرفي.

لذلك لا بدّ من توفير عديد المقاييس لضبط الأنشطة الحرفية غير أنّ الاتفاق على تعريف موحد ليس بالأمر السهل.

فمقارنة مع أنواع أخرى من أنشطة التصنيع رأى جرار برتلمي (Gérard Barthélemy) في كتابه "الصناعات التقليدية والتنمية" أنّ الحرف التقليدية تتميز بتكلفة الاستثمار القار عن كل موطن شغل يتمّ إحداثه، وتكون منخفضة جدًا مقارنة بقطاع الصناعات بسبب المكننة الضعيفة للعمليات.

لذلك، فإنّ الأمر يتعلّق بقطاع يتميّز بخلق أنشطة زهيدة الثمن قصد الاستجابة لحاجيات جديدة تتمثّل في التنوع في الأنشطة (خصوصا المناطق الفلاحية أو المنجمية) وإيجاد البديل لنظام التاجير عندما يشهد أزمت (خصوصا في المناطق الصناعية)

وإحداث الأنشطة المعيشية بالنسبة إلى الطبقات الاجتماعية الضعيفة حيث يكفي الحصول على دخل ولو محدود، لإعادة التوازن لميزانية العائلة. وقد أدت هذه الخصوصيات إلى صعوبة تطوير هذا القطاع من حيث التصدير نحو الأسواق الخارجية والبيع للسياح في شكل هدايا ومنتجات تذكارية والبيع للحرفاء المحليين أنفسهم.

وقد أدت أيضا إلى عدم إمكانية التخطيط لهذا القطاع واستحالة خضوعه إلى التصورات العادية والمؤسسية والعصرية للإحاطة بالأنشطة الاقتصادية ودعمها.

ولكن وبالرغم من كل هذه الصعوبات التي يعيشها قطاع الصناعات التقليدية لا بد من الإقرار له بعدة مزايا كدور القطاع في امتصاص البطالة، و في خلق مواطن شغل ذات كلفة ضعيفة، وفي تنمية بعض المناطق وانتعاشها وفي صيانة التراث.

لذلك فإنه من باب المفارقة أن يقع اعتبار هذا القطاع الذي يوفر كل هذه الطاقات أنه قطاع متآكل وهامشي، وأن يبقى النشاط الحرفي الذي يلعب دورا هاما في الحياة الاقتصادية غير محدد بدقة ويفتقر إلى الاستفتاءات والإحصائيات والدراسات التي تحصر هذا الواقع فتأتي بالمعطيات الدقيقة حوله وتضبط المجالات الحرفية وعدد الحرفيين والمؤسسات فيها.

ففي بعض الأوساط، نميل أحيانا إلى الخلط بين ما هو حرفي وما هو تقليدي وفي أوساط أخرى، يتم تعريف الصناعات التقليدية على أنها جزء من قطاع الحرف التي تتميز بإنتاج ذي صبغة تقليدية.

ويعود هذا التنوع على مستوى المصطلحات، جزئياً، إلى الاختلاف في المقاربات المنهجية والتصورية بين المؤرخ وعالم الاجتماع وعالم الاقتصاد ورجل القانون والمسؤول البنكي والمكلف بالضرائب.

فالصناعات التقليدية تمثل واقعا متشعبا ومتنوعا للغاية ينضاف إليه التباس لغوي، بحيث أن العبارة العربية "صناعات تقليدية" لا تعبّر عن المعنى الصحيح للنشاط الحرفي الذي كان وما يزال يمثل الشكل المتداول لصنع المتوجات (مثل السجاد والأواني الفخارية والعطور...).

إنّ عبارة "صناعة" و"صناعة" تعني الصنع وفقا للمعارف الفنية ولقواعد المهنة ومستوى المهارات المكتسبة وقد تمّ احتواء كلّ هذه العبارات لصالح القطاعات الجديدة المهيمنة.

ثمّ إنّ هذا الالتباس ازداد تفاقمًا واحتدادًا من خلال خطاب العقلنة ذي الإيحاءات التي تتصل بالهوية في تناولها لمسألة الأنشطة الحرفية والأنشطة الحرفية الفنية والأنشطة الحرفية التقنية والفنون التقليدية والتراث والأصالة والحدائث والابتكار الحرفي. ونظرا إلى تشعب هذا القطاع وتنوعه واختلاف المقاربات المنهجية والتصورية في تناوله وإلى الالتباسات اللغوية في التعبير عنه وإلى افتقاره للبحوث العلمية المعمّقة والمقارنة في دراسته فنحن لا نجد تعريفات دقيقة أو تحديدات مضبوطة لقطاع الصناعات التقليدية.

ولأنّ أغلب المناهج التابعة من طرف أغلب بلدان العلم قصد التمكن من تحديد هذا المفهوم على الوجه الأفضل تذكّرنا بالتعريفات المستعملة في تونس والمغرب الأقصى وفرنسا وألمانيا فالقانون عدد 106 لسنة 1983 منح المشرع التونسي تعريفا قانونيا للصناعات التقليدية وللحرفي وللمؤسسة الحرفية.

فهذا القانون يقرّ في فصله الأول بأنّه "يقصد بقطاع الحرف جميع نشاطات الإنتاج والتحويل والتصلّيح وإسداء الخدمات التي تعتمد أساسا على العمل اليدوي والتي يتعاطاها أصحابها كمهن رئيسية مستمرة تابعة لإحدى الفروع التي يقع ضبط قائمتها بقرار من وزير السياحة والصناعات التقليدية".

أمّا في فصله الثاني فالقانون يقرّب استقلالية الحرفي ويؤكد على الطابع اليدوي وعلى الكفاءات المهنية، كما ينصّ على تسليم بطاقة مهنية تخوّل حاملها صفة الحرفي، كما تخوّل هذه البطاقة الحصول على القروض وقد تمّ ضبط قائمة الحرف المخولة لهذه الصفة بواسطة أمر.

إن هذا القانون يُفرض على المؤسسات الحرفية في أجل سنتين ابتداء من تاريخ إنشائها. كما نصّ القانون أيضا على وجود دفتر للمؤسسات الحرفية وتتولى مسك هذا الدفتر وزارة السياحة والصناعات التقليدية التي كلّفت به الديوان الوطني للصناعات التقليدية. وفي نهاية سنة 2000 كان هذا الدفتر يشتمل على 622 مؤسسة حرفية مسجلة. هذا الرقم تم تقديمه من طرف المسؤولين في الديوان الوطني للصناعات التقليدية.

ويتبين من خلال هذا التعريف القانوني التونسي وجود معيارين اثنين :

- نشاط الإنتاج والتحويل والتصليح و إسداء الخدمات ؛
- الأنشطة التقليدية وهي بالدرجة الأولى الأنشطة اليدوية وعلى سبيل المقارنة فالقانون الجزائري يطلق عليها عبارة "الصناعات اليدوية" أما المشرع المغربي، فقد عرّف الحرفي ضمن القانون الصادر في 28 جانفي 1977 على أنه ذلك الشخص الذي يتعاطى عملا يدويًا.

هذا وأنّ المشرع الفرنسي منح نفس التعريف للحرفي في إطار مجلة الصناعات التقليدية سنة 1952 وحتى الأوامر الصادرة سنة 1962 و 1963 لم تغيّره إذ أنّها ما زالت تعتبر العمل الحرفي عملا يدويًا.

أما بالنسبة إلى القانون الألماني فشأنه شأن الدول التي تتبع مفهوما مهنيًا للصناعات التقليدية فإنّه لا يضع أية شروط بخصوص استخدام الآلات بل على العكس تقدّم التشجيعات والمساعدات عند استخدام الآلات والتكنولوجيات الحديثة في كلّ من ألمانيا والنمسا وإيطاليا وغيرها.

هذا التعريف هو الأقرب لواقع بعض المهن والحرف في بلادنا العربية كصناعة السجاد والفخار والشاشية التي تمكنت من تحديث آلياتها في التصنيع والاتصال والترويج والإشهار بما يرتقي بها إلى مستوى الصناعات الكبرى و يجعل من قطاع الصناعات التقليدية قطاعا جوهريًا للنموّ ونشر التكنولوجيات المتطورة بين الفئات الاجتماعية.

لذا فتجديد تحديد مفهوم الصناعات التقليدية بالرجوع إلى هذه التجارب المختلفة هو إذن تطوّر منهجي ضروري للإلمام بواقع اقتصادي اجتماعي وثقافي ينحو إلى الحداثة المتجذّرة في الأصالة.

2- الدور التنموي للصناعات التقليدية

رغم نصف قرن من الضبابية في تحديد مفهوم الصناعات التقليدية وبالتالي في تحديد دور هذا القطاع كمنظومة وفي استراتيجيات تحديث وعصرنة الاقتصاد والمجتمع والثقافة، ورغم نصف قرن من النظرة السلبية والسياسة التهميشية خصوصا في بلدان العالم الثالث التي رأت في قطيعتها مع الصناعات التقليدية عاملا أساسيا لخروجها من التخلف والتبعية، تمكن هذا القطاع وخاصة في بلاد العالم الثالث من الصمود والتأقلم مع السياقات الاقتصادية والتجارية الحديثة ⁽¹⁾.

فالدراسات الميدانية الحديثة بينت أن لهذا القطاع طاقة لا للمحافظة على مواطن الشغل وتطوير الكفاءات وإنما على تطوير هذه المهارات وخلق فرص جديدة للإدماج عن طريق التكوين والتدريب.

كما بينت هذه الدراسات أن لهذا القطاع ثلاثة أبعاد : الأولى اقتصادي، والثاني اجتماعي، والثالث ثقافي وحضاري. ففي تونس مثلا يبلغ عدد العاملين فيه حوالي 300.000 حربي أي ما يقارب 11 % من السكان النشطين ويساهم في إحداث

⁽¹⁾ انظر مثلا صناعة الشاشية بتونس بقيت وازدهرت رغم كل التنبؤات بالانقراض.

حوالي 6870 موطن شغل سنويا أي ما يقارب 8% من مواطن الشغل المحدث. ويساهم هذا القطاع أيضا في تعبئة الاستثمار حيث بلغت قيمته في الصناعات التقليدية 10.87 مليون دينار أي بكلفة 1580 دينار لكل موطن شغل محدث سنة 2000 ويساهم أخيرا في الصادرات حيث بلغت قيمتها 230 مليون دينار أيما يقارب 2.5% من مجموع الصادرات لنفس المدة.

كما أبرزت الدراسات أن هذا القطاع يحمل أفاقا واعدة و يمكنه أن يلعب دورا أساسيا في التنمية الاقتصادية الشاملة وهو بذلك قطاع عصري، إذ أن قطاع الصناعات التقليدية يتميز بأنشطة لا تعتمد كثيرا على توظيف رؤوس الأموال ثم إن خلق الثروات يستجيب لحاجيات جديدة للتنمية ولا سيما على مستوى اللامركزية الجهوية ويتميز أيضا بخلق مواطن الشغل ذات التكاليف المحدودة بالنسبة إلى الطبقات غير الميسورة وتنويع الأنشطة الاقتصادية وإحياء الموارد داخل الجهات والمنازل ويتميز العمل في هذا المجال خاصة بالمحافظة على الهوية وعلى الإشعاع الثقافي لدول العالم الثالث على المستويات الوطنية العالمية. لكن لئن أبرزت الدراسات الميدانية واتفقت جميعها على أهمية قطاع الصناعات التقليدية ودوره التنموي، فإن أغلب هذه الدراسات بينت أن الاضطلاع بهذا الدور يبقى رهين عصرنة هذا القطاع أي بالعمل على تحسين صورته وتمثلاته في المجتمع المحلي والدولي وتأهيل الهياكل والفاعلين في القطاع ورسكلتهم وتحسين جودة منتوجاتهم وترويجها وأخيرا العمل على تركيزه

كقطاع مستقل حتى يبرز كمجال من المجالات الهامة في التشغيل والتصدير والمحافظة على الهوية والتطور والاستقرار.

II صناعة الشاشية بتونس أنموذجا

1. التعريف :

الشاشية عمرة (بفتح العين) تونسية عريقة تمتاز بشكلها المستدير (نصف كروي) وبلونها الأحمر القرمزي وهي تزرد بالإبر وتعالج بمهارة صناعية رائعة. جمع شاشية شواش، وصانعها الشواشي.

2. اسمها :

كلمة شاشية لا توجد في المعاجم العربية غير أن هذه الكلمة تحتوي على اسم غطاء آخر للرأس : الشّاش. أمّا نسبة الشاشية إلى مدينة شاش (الموجودة بإيران) فهي مستبعدة لعدم استعمالها في تلك البلاد. أمّا الاحتمال الأقرب فلعلّه يكمن في انتساب صانعها أصلا إلى مدينة شاش فصانعها إذن شاشيّ بزيادة ي النسبة وإذا أضفنا إليه تاء التأنيث، تصبح الكلمة "شاشيّة" وتطلق على المصنوع ذاته. ويحتمل أيضا أن يكون أوّل من صنع الشاشية اشتهر بصناعة الشاش فنسبت إليه.

سميت الشاشية بتونس وبمصر والشرق الأوسط بالطربوش المغربي وبتركيا الفاز أو الفاس نسبة إلى فاس المغربية، بينما أهل العراق اصطلاحوا على تسميتها الفاسية وأهل ليبيا يسمونها الطاقية التونسية وهي أحيانا تتخذ أشكالا مختلفة.

3. تاريخ الشاشية :

ظهرت الشاشية في المجتمع العربي كعمرة حضارية منذ القرن 8/2. وثبتت لنا النصوص التاريخية العديدة أنها عرفت في المشرق والمغرب العربيين ثم انتشرت بين الأتراك واليونان والكثير من ممالك الدولة العثمانية.

كانت جزءا من زيّ الوزراء والكتاب والفرسان في العهد العباسي وزيّا عاما يلبسه الرجال والأطفال بتونس والمغرب، وتلبس بالعمامة وبدونها وأصبحت العمرة الشعبية التقليدية تحتلّ مكانة في العادات والأمثال التونسية فيقال مثلا :
* " فلان كيف الشاشية وين يمشي يتحط فوق الراس " والمعنى أنّه يجد الحفاوة والتقدير أينما حلّ.

* " لا يحرم ولّية من شاشية ولو كانت مهريّة " أي أنّ المرأة لا تريد أن تحرم من الرجل أيّ الذكر ليصونها من غوائل الدهر.

* "شاشية هذا على رأس هذا " والمعنى اقتراض المال من أحدهم ثم عند العجز على إرجاع الاقتراض من آخر لتسد يد الدين.

* "هات شاشيتك هات صّباتك" للتعبير عن كثرة الضرائب وتفنن بعضهم في سلب الأموال.

إنّ التاريخ أثبت عراقة وجودها بتونس والعادات والتقاليد أكدت هذه الأصالة وهذا يصحح ما ذهب إليه بعضهم من أنّها أندلسية الأصل خصوصا ولم يعثر المؤرخون على كلمة "شاشية" في المراجع الأندلسية.

فالشاشيّة عربية الأصل أعطّاها الصانع الأندلسي نفسا جديدا وكان له الفضل في تطويرها وترويجها.

4. صناعة الشاشية وتطويرها :

ثبت تاريخيًا أن صناعة الشاشية كانت "مشاريع عائلية" مثل الزربية والمرقوم، فهي صناعة منزلية عائلية أي أنّها كانت تنتج في المنازل ثم تباع بالسوق. إذا لم تبرز أسواق لصناعة الشاشية إلا في العهد الحفصي، ففي القرن 15/9 كانت بالقيروان سوق للشواشين وفي مدينة تونس سوقان متعاصران "السوق الحفصي" و"السوق العالي"، وفي أواخر العهد الحفصي شجّع عثمان داي المهاجرين الأندلسيين على صناعة الشاشية وتطويرها. وبعد سنة 1607/1016، وبفضل هذه التّشجيعات ونظرا إلى التشابه بين صناعة الشّاشيّة التونسيّة بصناعة العمارة الأندلسية من حيث المادة الأساسيّة وطرق الصناعة وحتّى طريقة اللّباس، ازدهرت صناعة الشاشية بتونس وصارت عنصرا من عناصر التنمية الاقتصادية في البلاد.

وتبعاً لهذا الازدهار في الصّناعة والترويج اضطر صانعو الشاشيّة لزيادة استيراد الصوف من إسبانيا خصوصا وأنّ الصوف التونسي غير كاف وخشن وأقل انطباع من الصوف الإسباني عند التلبيد وأنّ مشروع خير الدّين التونسي لتوريد أغنام المالينوس وتربيتها لم يحظ باهتمام مربّي الماشية بدعوى أنّها أغنام بدون ألية لا يقبل الناس على شراء لحومها لعدم لذة طعمها.

إنّ ازدهار صناعة الشاشية وفشل مشروع خير الدين في تربية المالبانوس وخصوصا سعي الصانعين على تحسين الجودة وتقليص الكلفة فتح باب الاستيراد من المنتج الأول لأحسن الأصواف وهو أستراليا. وبعد أن تمكّنت فرنسا من السيطرة على مجال صناعة الصوف وأخذت مكان أستراليا في تزويد السوق التونسية أصبحت المزود الوحيد بالأصواف الصالحة لصناعة الشاشية بتونس.

ومن التسميات المتداولة للشاشية في السوق اليوم شاشية صوف فرنسا وهي دلالة على جودتها الرفيعة وشاشية صوف تونسي وهي أقل درجة وثمنا من الأخرى وهذه التسميات لها دلالات تاريخية فقط إذ أنّ اليوم كلّ أنواع الأصواف المستعملة في صناعة الشاشية هي مستوردة من فرنسا والأقل جودة هي المعبر عنها بالصوف التونسية والحقيقة أنّها كلها منتجة بأستراليا ومصنّعة بفرنسا.

5. صناعة الشاشية وترويحها :

إن صناعة الشاشية اليوم كما كانت بالماضي البعيد صناعة يدوية بالأساس وتمر بتسع مراحل :

- أ. خدمة الكبوس أو الزرد : هذه المرحلة تتمّ بالمنزل وهي يدوية نسائية (أي تقوم بها النساء) بحتة تستعمل فيها المرأة خمس إبر من حديد مصنوعة بتونس وصوف مغزول يمدّها به صانع الشاشية.

- ب. الخياطة الأولى : هي أيضا عمل يدويّ ونسوي بحث يتمّ بالمنزل، وهذه المرحلة تقتصر على وضع علامة خصوصيّة لصانع الشاشيّة اسمها "نیشان ماء" ⁽¹⁾ تمكّن كل صانع من التعرف على بضاعته عند تلييدها في المصنع الجماعي الذي يدعى باطان طبرية ⁽²⁾.
- ج. التبطين أو التلييد: أي العمل على الكبّوس حتّى يصبح كقطعة القماش الصوفي الناعم وهذه المرحلة شبه صناعيّة أي تتمّ بمصنع جماعي خاص بتلييد الشاشية يوجد بالباطان على مقربة من مدينة طبرية على ضفاف نهر مجردة لعدوبة مياهه وقوة تدفقها.
- د. التقرديش الأول : وهي مرحلة تتمّ فيها قردشة أولى للكبّوس فتيبرز ليونة الصوف ونعومته وهي مرحلة يدويّة بحتة كانت رجاليّة (أي يقوم بها الرجال) وتتم في السوق واليوم أصبحت عائلية منزليّة تقوم بها العائلات المعوزة من فلاحيّ منطقة العالية والمناقية ⁽³⁾.
- وعوضا عن آلات القردشة التقليدية والمصنوعة يدويّا من نبتة الكرضون وهما الضّبنينة والباطاظورش ⁽⁴⁾ تستعمل اليوم الكردية وهي آلة حديدية مصنوعة ومستوردة من فرنسا.

(1) انظر رسم رقم 1 : أجزاء الشاشية ص 47.

(2) انظر خارطة رقم 3 "فضاءات صناعة الشاشية في البلاد التونسية" ص 52.

(3) انظر خارطة رقم 3 ص 52.

(4) انظر رسم رقم 2 : آلات القردشة (الندف) ص 48.

- هـ. الخياطة الثانية : هذا عمل نسائي يدويّ ومترليّ. يقتصر على وضع علامة خصوصيّة لصانع الشاشية اسمها " نيشان أحمر " وهي علامة البيع يتمّ وضعها على الشاشية قبل صبغها حتى يتمكنّ الصانع من التعرف على بضاعته عند مرورها من معمل الصباغة الجماعي وخصوصا حتى يبرز للمشتري جودة صباغته إذ أنّ لون الخيط يبرز أولا جودة مادة الصباغة أي أصلها الطبيعي أو الكيميائي ثمّ احترام قواعد عمليّة الصباغة من كميات المواد المستعملة ودرجة الحرارة ونقاوة الماء المستعمل.

- و. الصبّاعة: وهي مرحلة رجاليّة يدويّة بحتة تتمّ في ورشة بنهج الدبدابة⁽¹⁾ الذي يبعد عن الأسواق بحوالي مائتي متر. في هذه المرحلة يتم صبغ الشاشيّة بمواد طبيعية مثل القرمز والكشنيليا⁽²⁾ أو بمواد كيميائيّة حديثة تغيّر لون الصوف الأبيض إلى الألوان المتعددة والمطلوبة في الأسواق. من هذه الألوان الألوان التقليديّة للشاشيّة مثل اللون الأحمر الرّائع بتونس والأحمر الدّاكن والأسود المروّجين بالأسواق الليبية ومنها بأسواق البلدان الإفريقيّة الأخرى مثل النيجر ونيجيريا والطوقو والسّينيغال ... ومنها الألوان الحديثة مثل الأخضر والبنفسجي والبرتقالي... والمطلوبة من السيّاح الزّائرين لتونس أو من المستهلكين من بعض الأسواق العالميّة مثل فرنسا وألمانيا والنمسا

(1) انظر خارطة : أسواق الشاشية في مدينة تونس ص 51.

(2) الكشنيليا : هي حشوة تلتصق بالأشجار الغابية تعتمد في صنع الصبّاعة الطبيعيّة. تستوردها تونس من الجزائر ومن أمريكا اللاتينيّة.

وبلجيكا بأوروبا، وكندا والولايات المتحدة الأمريكية بأمريكا، وتركيا واليابان والتّيبال بآسيا.

- ز. التقوليب : وهي مرحلة رجاليّة، يدويّة بجثة تتمّ في أغلبها بورشات منزليّة بالمRNAقية ⁽¹⁾ وهي بلدة فلاحية تبعد حوالي خمسين كيلومتر عن العاصمة تونس مقرّ أسواق بيع الشاشيّة.

في هذه المرحلة يتمّ وضع الشواشي حسب المقاسات المطلوبة فوق قوالب من فخار تصنع في مدينة نابل ويقوم القولايجي بتشريحها في فصل الصيف في الهواء الطلق وبحرارة الشمس أمّا في فصل الشتاء ففي أفران مسخّنة بطاقة البترول أو الغاز.

- ح. التقوديش الثّاني : وهي مرحلة رجاليّة ويدويّة بجثة وهي المرحلة الوحيدة التي بقيت تتمّ تماما في الحوانيت داخل سوقين من أسواق الشاشيّة وهما: السوق الكبير والسوق الصغير ⁽²⁾. في هذه المرحلة تتمّ القردشة الأخيرة للشاشيّة المصبوغة لتنقيتها من بقايا المواد التي التصقت بها عند الصباغة والقولبة ولإبراز جودة فروها ولمعانها وطيبها على اثنين لبيعها في تونس، وعلى أربع لترويجها في ليبيا والبلدان الإفريقية الأخرى.

(1) انظر خارطة رقم 3 : فضاءات صناعة الشاشيّة في البلاد التونسية ص 50.

(2) انظر : أسواق الشاشيّة في مدينة تونس ص 50.

وكما رأينا في مرحلة القردشة الأولى عوّض صانع الشاشية، ويُسمّى "القفلة"، آلات القردشة التقليدية المصنوعة من نبتة الكرضون الطبيعية بآلة تسمّى التل نسبة إلى مادة الحديد التي صنعت منه بفرنسا حيث يتمّ شراؤها واستيرادها.

ولئن بقيت هذه العملية تقليدية في شكلها إذ بقيت تتمّ من طرف القفلة أو صانع الشاشية في الحانوت وهو جالس فوق الشينتو وأمامه البانكوحيث يضع أدوات ومواد عمله من ماء وبورة وتل وبيسج⁽¹⁾ ومقصّات، فإنّ هذه العملية أصبحت تتمّ بمعزل عن الشواشي المعلمّ صاحب نيشان الصنعة الذي اقتصر دوره على تشغيل الآخرين ومراقبة جودة عملهم وخاصة بيع الشاشية وترويجها.

- ط. التزيين : هي مرحلة كانت تتمّ في الحوانيت وعند البيع وحسب الطلب. يوضع الكوبيتش والكيطة⁽²⁾ فوق الشاشية كلباس رجالي. أما اليوم وقد أصبحت الشاشية لباس زينة للنساء والشباب وزيّا تذكاريّا للسيّاح تطوّرت هذه المرحلة إلى تطريز وخياطة وتزويق وزخرف بمواد كالفضّة والحريز والفرو والقطن والصوف والصدف والعاج والمرجان وكل أنواع الحجارة البرّاقة.

- معيش الشاشية ورمزيّتها :

(1) كلمات أندلسيّة من أصل لاتيني : البانكو Banc والبورة Bourre، بينسج Pince . انظر ص 48 .

(2) كلمتان من أصل أندلسي لاتيني (انظر الصّورة ص 47).

بعد استقلال البلاد من الاستعمار الفرنسي وتوجّه الاقتصاد التونسي نحو الليبرالية أي ابتداء من أواخر الستينات شهدت صناعة الشاشية عدّة تغييرات في النظام والفضاءات وأدوات العمل ممّا سمح لهذه الصناعة التقليدية بأن تثبت وتُطوّر إنتاجها وترويجها.

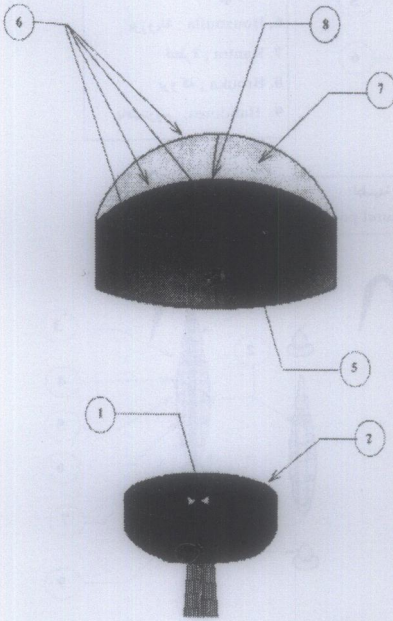
واليوم تقلصت أنواع الشاشية المحليّة إلى نوعين : النوع الأول الشاشيّة الرّجاليّة التي يقتنيها التونسي ويلبسها في المناسبات والأعياد الوطنيّة والدينيّة فهي بالنسبة إليه رمز لانتمائه لهذا الوطن ولثقافته. والنوع الثاني فهو الشاشية التجارية التي بدورها تنقسم إلى قسمين القسم: الأول يشمل الشاشيّة التي تغيّرت في شكلها وألوانها فأصبحت لباسا نسائيّا سياحيا شبابيا ومناسباتيا متغيّرا مع تغيّرات الموضة ومتطلبات المجتمع الاستهلاكي، فهي رمز للحدّثة بمعنى التجذر والعراقة كأساس للابتكار والإبداع الفنّي المشخّص و القسم الثاني من الشاشية التجارية هو ذلك الذي كانت فيه الشاشية وما زالت يروّج بعضها في الجزائر وبعضها الآخر في أغلب البلاد الإفريقيّة(النيجر، نيجيريا، الطوقو، التشاد، السينيغال...) عبر ليبيا وعند الاقتضاء عبر ألمانيا. هذا النوع من الشاشية التجاريّة لا يتغيّر لا في شكله ولا في لونه ولا في رمزيته فهو ما يزال لباسا رجاليا يرمز إلى الانتماء إلى الدّين الإسلامي وإلى الأعيان أي النخب أو أهل الثقة والشأن والمقام في أغلب المجتمعات القبليّة الإسلاميّة الإفريقيّة. في الخاتمة يمكننا القول إن صناعة الشاشيّة هي صناعة تقليدية تونسيّة كان إنتاجها وما زال تصديرها أكثر منه استهلاكيا محليا ولهذا كان إنتاجها ثابتا ومتحددا

إذ أبدع الشواشي في التغيير المتجدّد لنظام عمله ⁽¹⁾ وفضاءاته ممّا سمح له بالمرور من نوع العمل اليدويّ العائليّ المترليّ إلى العمل الطائفيّ شبه الصناعي ومنه إلى العمل الفرديّ الرأسماليّ المتطوّر. ومن ثمة بمواصلة إنتاج الشاشية التقليديةّ رمز الرجولة والتونسة والانتماء الإسلاميّ والإفريقيّ وابتكار الشاشية الحديثة رمز حرية المرأة والعدالة الاجتماعية وتلاقح الأجيال والحضارات.

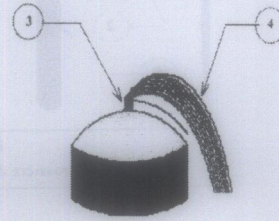
(1) انظر رسم رقم 3 : صناعة الشاشية : التخطيط التنظيمي ص 49.

رسم رقم 1 : مختلف أجزاء الشاشية - Figure n° 1

L'ANATOMIE DE LA CHECHIA



Face intérieure ou LAMBICH ; لميش



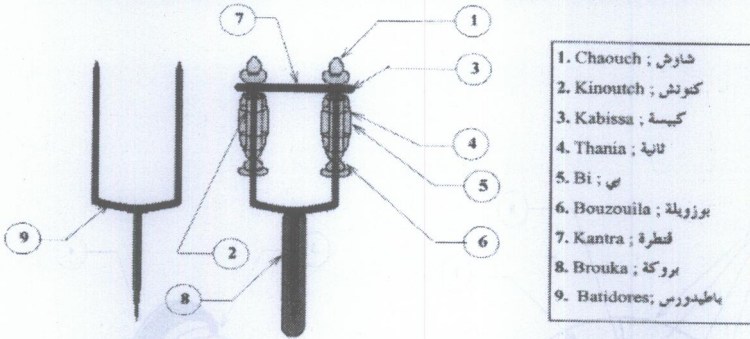
Face extérieure ou HAS ; هامس

Légende :

1. Une marque de fabrique ; نشان
2. Bourdi ; بوردي
3. Koubitech ; كوبيتش
4. Koubita ; كوبيطة
5. Badhir ; بذير
6. Krousanet ; كروصنات
7. Kournilia ; كورنيليا
8. Fels ; فليس

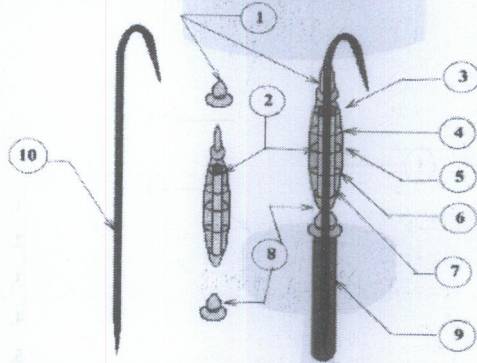
رسم رقم 2 : آلات القردشة (الندف)

LES INSTRUMENTS DE CARDAGE (*)



La dhabnina ; الطينية
(ou brosse grossière de chardon naturel pour premier cardage)

1. Chaouch ; شاورش
2. Kinouch ; كينوتش
3. Kabissa ; كبيسة
4. Dhou Midhou ; دوميهو
5. Midhou ; ميضر
6. Thania ; ثانية
7. Bi ; بي
8. Bouzouila ; بوزويلة
9. Brouka ; بروكة
10. Batidores ; باطيدورس



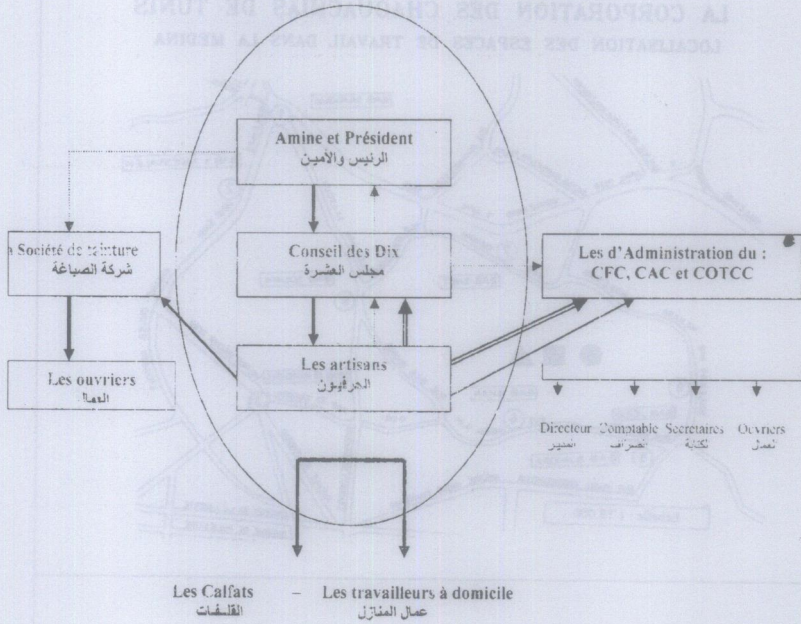
Le batadhourche ; الباططورش
(ou brosse fine de chardon naturel pour finition du cardage)

(*) : Les noms des différentes parties des instruments ont été précisés grâce à nos entretiens avec notre principal informateur, le calfat ABDERRAHMEN, Fatael Amine du métier et au texte O. KAAK, Op. Cit p 57.

الصناعات التقليدية دراسات أندلسية

رسم رقم 3 : صناعة الشاشية : التخطيط التنظيمي

Figure n° 3 : « La corporation des chaouachias : schème de l'organigramme »



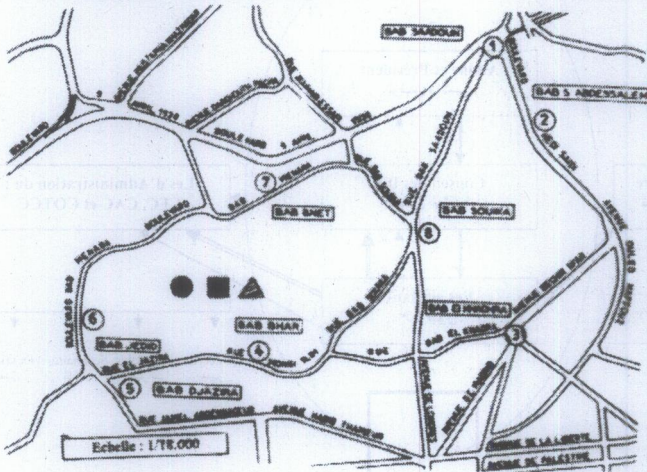
LEGENDE

	Les circuits de l'élection
	Les circuits du pouvoir
	Les circuits de l'autorité
CFC	Coopérative de foulage de chéchias
CAC	Coopérative des artisans de chéchias
COTCC	Comptoir tunisien de Commerce de Chéchias
	Le système d'action concret prédominant ou Le système corporatif.

مفتاح تفسیر

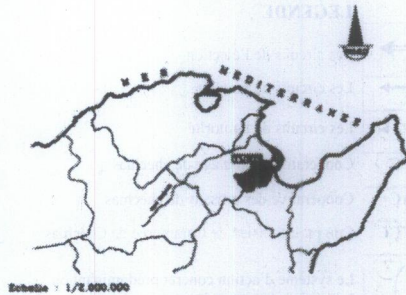
	قنوات الانتخاب
	قنوات السلطة
	قنوات الامية
CFC	تعاضدية تلييد الشاشية
CAC	تعاضدية الشواشية
COTCC	المكتب التونسي لصناعة الشوادي
	النسق المهني التقليدي

LA CORPORATION DES CHAOUACHIAS DE TUNIS
LOCALISATION DES ESPACES DE TRAVAIL DANS LA MEDINA

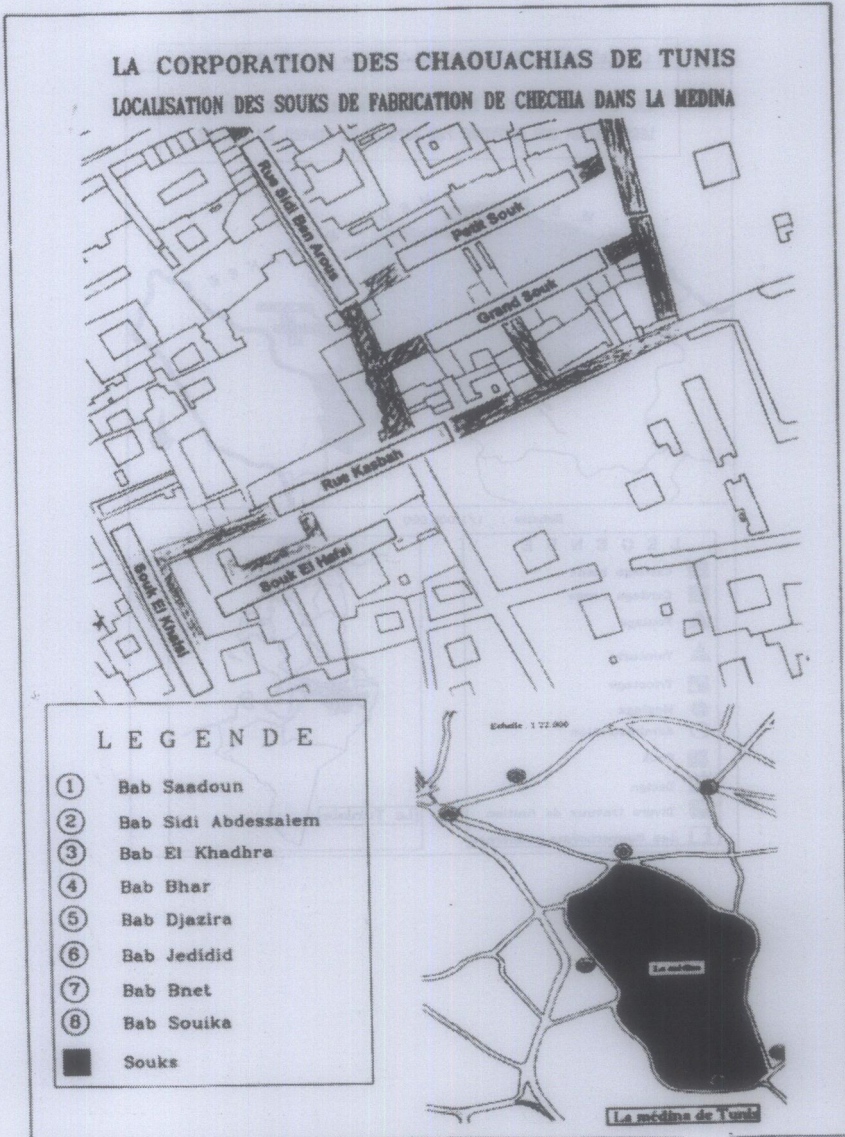


LEGENDE

- ① Bab Saadoun
- ② Bab Sidi Abdessalem
- ③ Bab El Khadhra
- ④ Bab Bhar
- ⑤ Bab Djazira
- ⑥ Bab Jedidid
- ⑦ Bab Bnet
- ⑧ Bab Souika
- ▲ Teiturerie
- Souks
- Administration



Le Gouvernorat de Tunis



خارطة رقم 3 : فضاءات صناعة الشاشية في البلاد التونسية : Carte n°3

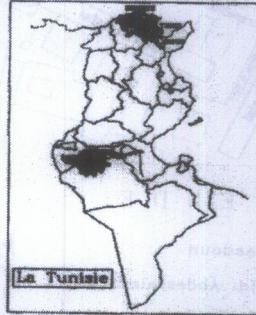
LA CORPORATION DES CHAOUACHIAS DE TUNIS
LOCALISATION DES ACTIVITES PAR ESPACES DE TRAVAIL EN TUNISIE



Schelle : 1/1.000.000

LEGENDE

- Cardage blanc
- Cardage rouge
- Foulage
- Teinturte
- Tricotage
- Moulage
- Administration
- Souk
- Design
- Divers travaux de finition
- Les Gouvernorats concernés



بيبلوغرافيا:

BAROUNI – BEN SEDRINE F. : La corporation des chaouachias de Tunis, mémoire d'un essor et enjeu de développement de l'entreprise aujourd'hui, Thèse de doctorat, Tunis, 1998.

BERQUE J. : Cent vingt cinq ans de sociologie maghrébine, dans Annuaire Economie Société et civilisation, Paris, juillet-septembre 1956.

BOUBAKER S. : La régence de Tunis au XVII^{ème} siècle : Ses relations commerciales avec les ports de l'Europe méditerranéenne, Marseille et Livourne, Tunis , éd. CEROMDI, 1987.

BOUHDIBA A. : Islam et sexualité, Thèse principale pour le Doctorat Es-Lettres, Paris V, 1972.

CHATEUR K. : Le fait andalous dans la Tunisie du XIX^{ème}, dans Temimi éd. Religion, identités et sources documentaires sur les morisques andalous, Tunis, 1984.

El ANNABI M. : La chéchia tunisienne, trad. de la première partie de l'article El-chachiya al-tùnisiya, Al – Amal al-tākafi, Tunis, 2 octobre 1970, trad. de Epalza, études sur les morisques andalous en Tunisie, éd. Direction Général de Relations Culturelles - Madrid.

FERCHIOU S. : Techniques et Sociétés, la fabrication de chéchias en Tunisie, thèse de doctorat de 3^{ème} cycle, Paris, 1967.

FLEURY V. : L'industrie tunisienne des chéchias, Tunis, dans Revue du Commerce et de l'Industrie, 1895.

MASSIGNON L. : Enquête sur les corporations musulmanes d'artisans et de commerçants au Maroc , éd. Ernest Leroux, Paris, 1925.

PENNEC P. : Les transformations des corps de métiers de Tunis sous l'influence d'une économie externe de type capitaliste, I.S.E.A, A.N., Tunis, 1964.

REVAULT J. : Arts traditionnels de Tunisie, O.N.A, Tunis, 1967.

TAAMALLAH K. : Population et Emploi en Tunisie, Tunis, 1987.

VALENSI L. : Islam et Capitalisme : production et commerce des chéchias en Tunisie et en France au XVIII^{ème} et XIX^{ème} siècle, dans Revue d'histoire moderne et contemporaine, éd. Armand Colin, tome XVI, Paris, 1969.

ZANNAD T. : La ville mémoire. Contribution à une sociologie du vécu, Paris, 1994.

أبو بكر عبد الكافي: الشاشية... تاريخها وتقاليدها وتطورها، في الفكر. تونس 1982.

ع. القفصي : وثائق جديدة حول إقامة باطان جديد لغسل الشاشية، في مجلّة الفنون والتقاليد الشعبية، عدد8، تونس، 1984.

محمد عثمان الحشايشي : العادات والتقاليد التونسية، الهدية أو الفوائد العلمية في العادات التونسية، دراسة وتحقيق الجيلاني بن الحاج يحيى، سرام للنشر، تونس، 1994.